الرجل المكروه

عن الانجليزية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

وقف على غير انتظار فى وسط الجمع وكان صامتاً وكانوا صامتين، ويظهر أنهم لم يشعروا بدخوله، فابتسم ثم جرّ كرسياً وجلس على مقربة من صاحبة المنزل، فلما نظرت إليه قالت: «ما أغرب تصرفاتك! هل مشيت كل المسافة بين بروم هيل وبين المنزل فى هذه الشمس؟»

فهز رأسه بالإيجاب دون أن يتكلم، وقد كان غريب التصرفات كما وصفته مسز أليونورا بوينتون التى أمرت على أثر مجيئه بالشاى والتفتت إليه وقد كان مجيئه بغير دعوة وجلوسه بغير استئذان

ودار الحديث بينهم متجاهلين وجوده فشرب الشاى فى صمت وهو شاعر بهذا التجاهل ولكنه لم ينسحب من المجلس ولم يهم بالانسحاب

وقالت اللادى مارتن لصاحبة المنزل: «ما أغرب هذا الرجل يا عزيزتى أليونورا! أهو نموذج لأهل جيرتكم؟ لقد كنت أظن أهل هذا الوسط راقين!»

فهزت مسز أليونورا كتفيها وقالت: «لا يعلم إلا الله من هو وماذا يريد، وليس فينا من يحيه غير زوجى، وأنت تعرفين أنه يسر من كل شىء غير عادى»

فقالت الزائرة: «ولكن من أين أتى؟ هل هو جار؟»

قالت أليونورا: «اسمه ليندهام وهو يسكن فى كوخ على بعد بضعة أميال، وليس لدى أى إنسان فكرة عن شخصيته ولا عن الجهة التى جاء منها، وهو يقضى معظم أوقاته فى المشى فى الطريق وفى عزلة المنازل»

قالت اللادى مارتن: «يظهر من هيئته أنه راق وأنه غريب الأطوار»

فاختلست مسز بوينتون نظرة من الستر ليندهام وقد كان فى ثياب شديدة القدم وطية مقصوصة على غير نظام ورباط رقبته منحرف، ولكن فى هيئته علائم النهذيب وصوته الهادئ الرصين يفتن سامعيه

وعادت الزائرة إلى الكلام فسألت صاحبة المنزل: «لماذا يأتى هذا الرجل هنا؟»

فأجابتها أليونورا: «لا أعرف سبب مجيئه خصوصاً مع غياب زوجى عن المنزل، ولا أحد يلاطفه هنا وهو لا يكاد يكلم أحداً، وهو يكثر من المشى تحت الدار. وقد قابلته فى إحدى الليالى فرأيته يكلم نفسه بصوت منخفض ولم تكن المسافة بينى وبينه أكثر من متر، ولكنه لم يلاحظنى وقد خفت منه كما أخاف من الموت»

قالت الزائرة: «إن زوجك رجل طيب يا أليونورا؛ وعلى ذكر زوجك أخبرينى ماذا تم فى القضية؟»

فقالت صاحبة المنزل: «إنه ذهب ليقابل المحامين، ويظهر أنهم لم يحصلوا على رد من السير جيرفاس؛ ويظهر أنهم لا يعرفون مكانه»

فنظرت اللادى مارتن من خلال النافذة وقالت: «أرجو ألا تخسروا القضية فإن هذه الجهة من أحسن الأماكن فى الإقليم» ونظرت أليونورا من خلال النافذة أيضاً إلى المنظر الذى أطلت عليه اللادى وقالت: «إخال أننى أسمع سوت عربة مقبلة» ثم وقفت وخرجت من الغرفة. وبعد قليل عادت وأطلت قدوم الأميرة فوقف جميع الضيوف إلا الزائر غير المرغوب فيه. ونظرت أليونورا إلى هذا الرجل الذى لا يحبه إنسان نظرة مقت وانتظر الجميع أن يكون لدى الرجل من حسن الذوق ما يحمله على مغادرة المنزل قبل أن تأتى الأميرة

على أنه لما أقبلت الأميرة وقف ودار بعينيه فى الفضاء، وكان بادياً على الأميرة التعب ولكن تعبها لم يؤثر على جمالها الرائع. وفى فترة التعارف وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام ليندهام الذى لم تعن مسز بوينتون بتقديمه إلى الأميرة فتقدم هو نفسه إليها قال: «هل تسمحين يا صاحبة السمو بأن أذكرك باسمى؟ أنا ريتشارد ليندهام وأرجو ألا تكونى نسيتنى»

مدت إليه يدها وقالت بصوت عذب: «إن الإنسان لا ينسى أقدم أصدقائه. وإنى مسرورة جداً برؤيتك يا مستر ليندهام»

وجىء بالشاى، ثم دخلت الأميرة قاعة أخرى وطلبت من

صاحبة المنزل أن تدعو إليها المستر ليندهام لأنها تريد محادثته.

قالت مسز بوينتون : « ليندهام يا صاحبة السمو ؟! »

وكانت لهجتها شديدة الدلالة على الاستغراب ، ولكن الأميرة كررت أنها تريد محادثته ، فذهبت إليه صاحبة المنزل وقالت بغير ما اعتادته من لهجة فى مخاطبته : « إن الأميرة تريد أن تراه ؛ فقام متباطئاً ولم يبد عليه شيء من الاستغراب ، ولا أظهر شيئاً من الاهتمام وقال : « اسبقيني وسأتبعك »

أغلق الباب وكانت الأميرة فى حالة غير عادية : فميناها مغرورقتان بالدموع وقالت : « لقد ظفرت بك فى النهاية ولن تستطيع أن تفلت منى . تعال الآن »

فتناول كفها ورفع يدها إلى شفته ؛ وتغيرت هيئته ففارقه مظهر الخشونة المعتاد ، وأصبحت نظراته وصوته كصوت الطفل ونظراته وقال : « يا عزيزتى جبرييل ، هل لا تزالين مؤمنة ؟ ألم تفقدى ثقتك ؟ » . فقالت : « كلا . كلا . ولا لحظة واحدة »

قال : « الحمد لله »

ثم انقضت لحظات فى صمت ، وبعد ذلك قالت : « ألا تزال باسمك المستعار ؟ » فقال : ليس لى اسم سواه

قالت : ولكنك فى انكلترا ولم تتركها إلى غيرها . فقال بلهجته التهكمية القديمة : ليس أغرب من ذلك

قالت : «لقد تغير كل شيء فلم أتبين أين كنت» ؛ فمشى نحو النافذة وقال : « لقد كان إطلاق الرصاصة من هذا المكان وكان أكثر من عشرة أشخاص مستعدين للشهادة بأنه لم يكن يقيم هنا أحد غيرى »

قالت الأميرة : يظهر يا جيرفاس أنك هنا لغرض خاص ، فقال : وأنت ؟

قالت : لغرض أيضاً ... قل لى : هل تسلمت خطاباً ؟

فقال : نعم ، وهو سبب مجيئى من الاسكا

قالت : وهذا هو السبب فى مجيئى من النمسا ... انظر ... وعرضت عليه خطاباً ، فرمقه بنظرة ثم قال : هو خطابى تماماً ، ويعلم الله أن هذا فى منتهى الغرابة ... ولكن الذين على وشك الموت كثيراً ما يقولون الحقيقة !

وكان فى هذه الأثناء يفحص الحائط وفى يده سكين يضرب بها فى مكان بعد مكان ويتسمع الصوت ... وكانت الأميرة تراقب حركته وهى واقفة وراء ظهره ، وقال : ليس هنا أى دليل يساعدنا

قالت : لقد اختفى جزء مهم من أركان القضية ... أين هو الرجل الذى أخفى مطلق الرصاص ؟

فهز رأسه وقال : لقد كان من الغباوة ألا أفكر فى المكان من قبل ، ولقد اختفى جزء من القضية كما تقولين ، ولكن الجزء الآخر لا يزال باقياً ...

وأشارت إلى شيء ملقى على الأرض ، فتناوله وقال : هذا دفتر مذكرات ... ففتحت الصحيفة الأخيرة منه وصاحت :

— ما هذا يا جيرفاس ؟

فهز كتفه وقال : هذا ما ليس يعلمه إلا الله

وحاول أن يقرأ الأسطر التى أشارت إليها ، ولكنه صاح بدوره : إقرئى أنت ... فإننى لا أستطيع

فاختطفت الدفتر من يده واقتربت من النور ...

ظل الرجل الذى لا يحبه إنسان ... الرجل الذى تعده صاحبة المنزل فضولياً ... ظل مع الأميرة نحو ساعة ، وكانت صاحبة المنزل ومن معها يتحدثن فى هذه الأثناء ...

وقد نالت الأميرة رتبتها بالزواج من أمير ، وهى من أسرة قديمة ، ولكنها قبل الزواج كانت فقيرة ، ويشاع أنها كانت ضريبة فى بعض البيوت ...

وفى عهد هذه القصة كان الأمير متوفى منذ عام ، تاركا لها ثروة كبيرة ، وكان مركزها فى المجتمع موطداً بالرغم من إشاعات السوء التى كان يشيعها عنها بعض الناس

وقد سئمت مسز « بوينتون » من تكرار القول لزائريها أنها لا تعرف « ليندهام » ، وأنه جاء من حيث لا يعرف إنسان ، وأن زوجها المستر « آرثر » قد اهتم بشأنه ، ولكنها كانت مرتابة منه منذ البداية ... وبينما هى لا تزال كذلك تضرب على هذه النغمة ، إذ دخلت الأميرة ومعها المستر « ليندهام » كما هو معروف بهذا الاسم بين الزائرين ، أو السير « جيرفاس » هو اسمه الحقيقى ، وقالت الأميرة : لقد رأيت الغرف التى أعددتها لضيافتى ، ولكن يظهر أن إحداها لها تاريخ ، فهل صحيح أن السير « توماس فلتون » قتل برصاصة أطلقت عليه من نافذة غرفة الجلوس ؟ !

ظهر شيء من الاضطراب على وجه صاحبة المنزل وقالت :

— نعم ، ولكن هذا من سنوات عديدة ، وكنت أظن أن كل إنسان نسى ذلك ، وأظنك يا صاحبة السمو لا تخافين من الأشباح ...

فابتسمت الأميرة وقالت : لقد رأيت الآن واحداً من هذه الأشباح ...

وكان الحاضرون يتحدثون فيما بينهم ويتساءلون عما تحدث عنه الأميرة . وقد بدت عليهم علائم الاهتمام . وقالت الأميرة : تريد أن تحدثنا يامستر بوينتون عن تلك الجريمة . لقد قتل السير نوليس وهو يمشي على الشرفة . وكانت الإصابة من مجهول، فهل عرف شيء عن سرها ؟

فقالت مسز بوينتون : أما في المحاكم فلا ، وأما بصفة قاطعة بين الناس فلا . ولكن القرائن قوية ضد السير جيرفاس فلتون شقيق القتيل . وأقوى القرائن ضده أنه بالرغم من أن التهمة لم توجه إليه فإنه غادر البلاد هارباً ولم يعرف له مكان

قالت الأميرة : وهل كان بين الشقيقين خصومة ؟

فقالت : لم يكن بينهما خصومة معروفة ، ولكن شاع بعد الحادث وبعد سفر جيرفاس أن بينهما سوء تفاهم ، إلا أنه لحسن حظ جيرفاس لم تقل كلمة في هذا الصدد في التحقيق .

قالت الأميرة : ولكن هل عرف شيء من أسباب سوء التفاهم ؟ فهزت مسز بوينتون كتفيها وقالت : يقال إنه كانت هناك مربية لأولاد اللادي موري أخت الشقيقين ، وكان كلاهما عاشقاً لها، وأن جيرفاس قتل أخاه مدفوعاً بدافع الغيرة . ويرجح أن الرصاصة خرجت من غرفة السير جيرفاس . وقد بقي السير جيرفاس في انكلترا بعد وقوع الجريمة ببضعة شهور ، ثم سافر وأملي ألا يعود ، لأنه إن عاد فسنضطر إلى إخلاء هذا المنزل له وهو خير مكان يوافقنا .

فابتسمت الأميرة وابتسم المستر ليندهام ، وقالت الأولى : ولكن ما رأيك في أن السير جيرفاس قد عاد وأنه جالس بجانبي الآن؟

فقالت مسز بوينتون وقد بدت عليها علائم الدهشة والانزعاج : المستر ليندهام !

فأحنى الرجل رأسه وقال : إنني أعتذر عن انتحالي اسماً مستعاراً ، ولكن كان لدي أسباب هامة تضطرني إلى زيارة الأماكن المجاورة ، وأنتم تدركون عذري إذا لم أستطع الظهور باسمي الحقيقي . وإن غياب ثمانية أعوام وإرسال اللحية الجديران بتغيير الهوية .

قالت مسز بوينتون : ولكن الأميرة عرفتك عند ما رأتك

فقال : نعم

وقالت الأميرة : ربما كنتم قد سمعتم بأنني قضيت عامين مربية قبل زواجي من الأمير بريليزو ، ولكن الذي لا تعرفونه على ما أظن هو أنني كنت مربية في نفس هذا المنزل . وربما أدهشكم أن السير جيرفاس الذي يتهم بأنه قتل أخاه من أجلي لم يكلمني أية كلمة قبل الآن .

ساد الصمت وقد كانت القرائن كلها قوية ضد جيرفاس والأميرة . ولكن لم تظهر على واحد منهما أدنى الإجرام . واستأنفت الأميرة الكلام فقالت : « وقد استكشفنا أن في الغرفة التي كنت أقيم فيها مكاناً سرياً في الحائط بينها وبين الغرفة المجاورة ؛ وهذا المكان هو المخبأ الذي أطلقت منه الرصاصة

وقالت : إنه وصل إليها بالمصادفة إلى السير جيرفاس في الأسكا خطابان من مجهول فاضطرا إلى المجيء وإلى دخول المنزل للبحث عن هذا المكان السري . وقالت : إن استكشافهما كان خطيراً . ثم اطلعت صاحبة المنزل على دفتر المذكرات وقالت : إنه دفتر مذكرات السير جوليس تراڤرس وصيف السير نوليس فيلتون ، وهو يعترف بأن كتابته الحقيقة يكاد يصيبه بالجنون ، ويظهر أنه كان قريباً جداً من الجنون لما كتب هذه المذكرة . وهذا نصها فاقرئيها !

فقرأت مسز بوينتون :

« سبتمبر — لا أستطيع الاحتمال فوق ذلك . إنها كانت تغض النظر عني لأني وصيف ولا تعني بغير السيد ، وقد قتلته وألصقت التهمة بالسير جيرفاس »

وقرأت مسز بوينتون بعد ذلك الخطاب الذي وصل إلى الأميرة والخطاب الذي وصل إلى السير جيرفاس فوجدتهما بخط واحد ، وهو نفسه خط صاحب المذكرة . وقد روى في الخطابين أنه في المستشفى في حالة الاحتضار

فقالت : « هذه أنباء غريبة ، ولكن أخشى ألا أستطيع تجديد عقد الإيجار »

فابتسم السير وقال : « هذا يتوقف على رغبة الأميرة »

غير اللطيف انتشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)